مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(11)، العدد (2)، (جوان -2026)، ص 117-131
ISSN: 2602-5566 EISSN: 2716-8999

أفعال الكلام وأغراضها الإنجازية في بيان انطلاق معركة طوفان الأقصى

Speech acts and their achievement purposes in explaining the start of the Al-Aqsa flood battle

بلقاسم زقار[1]*، الزايدي بودرامة[2]

[1] مخبر المتخيّل الشفوي بين حضارتي المشافهة وبين حضارتي الكتابة والصورة من جهة أخرى، جامعة ميلة (الجزائر)،b.zakar@centre-univ-mila.dz

[2] مخبر معجم المصطلحات المعجمية، جامعة سطيف 2(الجزائر)، z.boudrama@univ-setif2.dz

تاريخ الإرسال: 05 /2024/09 تاريخ القبول:2026/01/12

ملخص:

يهتم هذا البحث بالكشف عن مفهوم رئيس من المفاهيم التداولية البارزة، وهو ظاهرة أفعال الكلام في الخطاب الإعلاني لانطلاق معركة طوفان الأقصى الفلسطينيّة التحريرية، حيث ركّزت الدراسة على تتبّع واستقصاء واستخراج مختلف الأفعال الكلامية المستحضرة والموظّفة في هذا الخطاب، والكشف عن أبرز قِواها الإنجازية التي تضمّنتها، والتي تعكس وتبرز أهم المقاصد والمعاني التي أراد المتكلّم تبليغها إلى مخاطَبيه بمختلف هويّاتهم وانتماءاتهم وخلفياتهم وأجناسهم وأعمارهم، مركّزة في ذلك على تقسيم جون سيرل الخماسي لأفعال الكلام.

خلص البحث إلى اشتمال المدوّنة المدروسة على أفعال كلامية ثلاثة هي: أفعال الإخباريات، والإعلانيات، والتوجيهيات، والتي استعملها المتكلّم محمّد الضيف قائد أركان كتائب القسّام الجناح العسكري لحركة حماس الفلسطينيّة أساسا لتبليغ مخاطَبيه مجموعة من المقاصد والغايات والمعاني التي تتناسب والغرض العام الذي تمحورت حوله المخاطبة محل الدراسة.

كلمات مفتاحية: أفعال الكلام؛ قوى الإنجازية؛ مقاصد؛ طوفان الأقصى؛ محمّد الضيف.

Abstract:

This study investigates speech acts within the discourse announcing the Palestinian operation "Al-Aqsa Flood," focusing on their pragmatic functions and illocutionary forces. It aims to identify and analyze the speech acts employed and to examine how they reflect the speaker's intentions and meanings addressed to a diverse audience characterized by varying identities and sociocultural backgrounds. The analysis is grounded in John Searle's fivefold taxonomy of speech acts.

Findings indicate that the corpus comprises three principal types: assertives, declaratives, and directives. These are strategically utilized by Mohammed Deif, Chief of Staff of the Al-Qassam Brigades, the military wing of Hamas, to convey specific communicative intentions and ideological messages aligned with the overall purpose of the discourse. The study highlights how linguistic choices function as pragmatic tools for persuasion, mobilization, and framing within politically and militarily charged contexts, thereby contributing to the broader understanding of speech act theory in contemporary discourse analysis.

Keywords: Speech acts; Achievement powers; Objectives; Al-Aqsa flood; Muhammad Al-Dhaif.

* المؤلف المرسل.

1-مقدمة

عرف البحث اللساني منذ نشأته عدّة تحوّلات أطلق عليه البعض تسمية الثورة المعرفية، ولعلّ أبرز تلك التحوّلات التي شهدها البحث اللساني هو ظهور التيار التداولي، محدثا بذلك انعطافا لسانيا مهما في تلك الحقبة؛ إذ اهتم بدراسة النشاط اللغوي في علاقته بمستعمليه، خلافا لما كان عليه اهتمام البحث اللساني سابقا؛ إذ عُنِيَ أساسا بدراسة اللغة ضمن كينونتها المغلقة ضمن التيار اللساني البنيوي الشكلي كما هو معلوم.

هذا التيار اللساني الحديث (التداولي) كغيره من التيارات اللسانية الأخرى، قد اضطلع بمجموعة من المباحث التي شكّلت بدورها أهمّ القضايا التي تجلّى فيها البعد التداولي الاستعمالي للغة، فكان من جملة تلك المباحث وأبرزها نظرية أفعال الكلام، هذا المفهوم الذي يعدّ أساس ونواة الدرس التداولي، كما برز تحديدا مع جهود رائديْه أوستين وسيرل وغيرهم من الباحثين.

وبظهور التيار التداولي وما يشتمل عليه من قضايا ومفاهيم شهد الميدان الإجرائي التحليلي للخطاب آفاقا أوسع وأرحب، من هذا المنطلق جاء هذا البحث كدراسة تحليلية تداولية للخطاب الإعلاني للمعركة الفلسطينية ضدّ المحتل الإسرائيلي الموسومة بـ **"معركة طوفان الأقصى"** بوصفه خطابا يتضمّن الأثر التداولي بكلّ أبعاده كما هو مفترض، وذلك باستثمار آلية أفعال الكلام بعدّها أحد أهم المفاهيم التداولية.

بناءً على ما تقدّم مضت الدراسة إلى إثارة إشكالية كبرى مفادها:

ما الأفعال الكلامية البارزة في خطاب محمّد الضيف الإعلاني لمعركة طوفان الأقصى، وما أهم أغراضها الإنجازية التي حملتها؟

أمّا عن الدراسات السابقة ذات العلاقة المباشرة بموضوع بحثنا فإنّها تنعدم نظرا لخصوصية مدونة هذا البحث وطبيعته، فمعركة طوفان الأقصى عموما خطاباتها، وأحداثها، وانعكاساتها وغير ذلك من الجوانب فإنّها قد دُرِسَت من جهات عدّة: سياسية، واستراتيجية، وعسكرية، واقتصادية...، في حين لم نجد دراسة واحدة تبحث في جوانبها اللغوية واللسانية، وبالتحديد في الخطاب الإعلاني لبداية هذه المعركة، لهذا فإنّ جدّة بحثنا تكمن في المدونة المحتارة.

2-تأصيل نظرية أفعال الكلام في الدرس اللساني الغربي:

عرف البحث اللساني عدة تحولات ابستمولوجية، فقد أسفرت المعرفة المعاصرة عن عدة نظريات ومفاهيم وأطر لغوية انبثقت عنها اتجاهات وتيارات لسانية جديدة كالتيار التداولي، هذا التيار الذي عُنِي أساسا بدراسة اللغة أثناء استعمالها.

وهذا التيار اللساني كغيره من التيارات قد اشتمل على عدة مفاهيم ومقولات، كان من أهمها نظرية أفعال الكلام. هذا "ويقع هذا المفهوم في موقع متميز من هذا المذهب اللساني الجديد

في تصور المعاصرين ويشكل جزءا أساسيا من بنيته النظرية، بتصريح العلماء الغربيين المؤسسين للتداولية، وقد أضحى نواة مركزية لكثير من البحوث التداولية" (صحراوي ، 2020، صفحة 55).

ونجد أن هذا المفهوم كغيره من المفاهيم اللسانية عموما والتداولية خصوصا له أصوله المعرفية وخلفياته الفكرية والفلسفية التي أخرجته للوجود.

فنظرية أفعال الكلام مفهوم انبثق عما سُمِّيَ بالفلسفة التحليلية مع صاحبها غوتلوب فريجه (1925م)، هذه الفلسفة التي كان ظهورها كرد فعل اتجاه الفلسفة التقليدية الميتافيزيقية، ويتلخص مفهوم هذه الفلسفة في ثلاثة مبادئ هي (صحراوي ، 2020، صفحة 11):

- ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم، وخصوصا جانبه الميتافيزيقي.
- تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع "نظرية المعرفة" إلى موضوع التحليل اللغوي.
- تجديد وتعميق بعض المباحث اللغوية، ولاسيما مبحث الدلالة والظواهر اللغوية المتفرعة عنه.

هذا ويجد الدارس أن هذه الفلسفة قد انقسمت إلى ثلاثة اتجاهات كبرى هي (صحراوي ، 2020، صفحة 35):

- الوضعانية المنطقية بزعامة رودولف كارناب.
- والظاهراتية اللغوية بزعامة هوسرل.
- وفلسفة اللغة العادية بزعامة ليدوفيغ فيتغنشتاين.

وما يهمنا ها هنا الفرع الثالث من هذه الفروع، إذ إنّ نظرية أفعال الكلام قد ولدت ونشأت بين أحضان فلسفة اللغة العادية مع صاحبها فيتغنشتاين "الذي كان يرى أن جميع مشكلات الفلاسفة تحلّ باللغة، فاللغة هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة، بل كان يعتقد أن الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي سوء فهمهم للغة أو إهمالهم لها، وراح يطور فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة، فالاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللغة واستخدامها" (صحراوي ، 2020، صفحة 37).

لكن أفكار فيتغنشتاين فيما يخص اللغة لم يكتب لها الانتشار والذيوع إلا بتبنّي فلاسفة اللغة لمدرسة أوكسفورد لها، وعلى رأس هؤلاء الفلاسفة أوستين وسيرل وغيرهم، ليؤسّسوا ما عرف بعد ذلك بنظرية أفعال الكلام، هذه النظرية التي تعد "النواة الأولى التي انطلقت منها التداولية، ويظهر ذلك جليا من خلال محاضرات "أوستين" و"سيرل" و"غرايس" التي أولت أهمية لبعض الجوانب التي تمثل جوهر الدراسة التداولية كإشارتهم إلى السياق والمقام والمتكلمين ومقاصدهم...،ونظرا لأهمية هذه الجهود التي قدمها فلاسفة أوكسفورد، والتي أسفرت عن ظهور هذه النظرية التداولية، ونخص بالذكر جهود كل من أوستين وسيرل كونهما من رسم معالم هذه النظرية، فأوستين من حيث التأسيس وسيرل من حيث النضج والاكتمال.

2-1-نظرية الأفعال الكلامية عند جون أوستين (john langshaw austin):

تُعدّ نظرية أفعال الكلام نواة الدرس التداولي والانطلاقة الحقيقية له، وقد كان التأسيس لها بداية مع جهود أوستين في خضمّ محاضراته الاثنا عشرة التي ألقاها في أوكسفورد ما بين سنتي 1952م و1954م، وكذا في محاضراته التي ألقاها في هارفارد سنة 1955م، هذه المحاضرات التي جُمِعَتْ بعد وفاته في كتاب سُمِّي بـ: "How to do things with words" والذي ترجم إلى الفرنسية سنة 1970 (نحلة، 2000، صفحة 42)، وقد تُرْجِم هذا الكتاب عدّة ترجمات في اللّغة العربية منها: **كيف نصنع الأشياء بالكلمات، عندما نتكلّم نفعل....**

بنى أوستين تصوره في التأسيس لهذه النظرية انطلاقا من انتقاده الشديد لفلاسفة اللغة الوضعانيّين الذين رأوا "أنّ اللغة وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارات إخبارية، ثمّ يكون الحكم بعد ذلك على هذه العبارات بالصدق إن طابقت الواقع أو بالكذب إن لم تطابقه، فإذا لم تطابق واقعا فليس من الممكن الحكم عليها بصدق أو كذب، وهي من ثَمَّ لا معنى لها" (نحلة، 2000، صفحة 24).

وعلى كلّ يمكن إيجاز أهمّ ما جاء به أوستين في هذه النظرية:

1-تمييزه بين نوعين من الأفعال هي (نحلة، 2000، الصفحات 43-44):

أ-أفعال الإخبارية: وهي أفعال تصف واقع العالم الخارجي وتكون صادقة أو كاذبة مثل: قولنا الشمس مشرقة.

ب-الأفعال الأدائية (الإنشائية): وهي التي تنجز بها في ظروف ملائمة أفعالا ولا يحكم عليها بالصدق والكذب، بل تكون ناجحة (موفقة) وغير ناجحة (غير موفقة)،

وهذا النوع من الأفعال -أي الأدائية-محكوم بمجموعة من الشروط حتى يكون ناجحا، شروط تكوينية وأخرى قياسية، وإذا لم تتحقّق هذه الشروط كانت هذه الأفعال غير موفقة -غير ناجحة- (عبد الحق، 1993، الصفحات 142-143)

2-ثمّ تبيّن لأوستين أنّ تقسيمه للجمل إلى جمل إخبارية وأخرى أدائية هو تقسيم غير حاسم من منطلق أنّ كثيرا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة أدائية، وبالتالي يمكن اختزال الصنفين من العبارات بهذه الطريقة عن طريق عدّ جميع العبارات اللغوية عبارات إنجازية (أدائية) مع التميّز بين نوعيْن من العبارات الأدائية: عبارات إنجازية صريحة، وعبارات إنجازية ضمنية (المتوكل، 2010، صفحة 23)، كلّ هذا جعله يرى أنّ الأفعال الكلامية تتكوّن من ثلاثة أفعال تتداخل فيما بينها وهي (نحلة، 2000، الصفحات 45-46):

أ-الفعل اللفظي (فعل القول) locutionary act وهو يتألّف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدّد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل عليه.

ب-الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول)illocutionary: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.

ج-الفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول)perlocutionary act ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع.

ومن بين هذه الأقسام أولى أوستين أهمية كبيرة للفعل الإنجازي حتّى أضحت هذه النظرية تعرف أحيانا بـ "النظرية الإنجازية".

3-ثمّ قدّم أوستين تصنيفا للأفعال الكلامية على أساس من قوتها الإنجازية يشتمل على خمسة أصناف هي (عبد الحق، 1993، الصفحات 223-224):

أ-أفعال الأحكام verdictives

ب-أفعال التقريريات exercitives

ج-أفعال التعهد commissives

د-أفعال السلوك behabitives

هـ- أفعال الإيضاح expositives

ومن الملاحظ أنّ تصنيف أوستين للأفعال الكلامية بالكيفية الآنف ذكرها لم يكن تصنيفا محكما، فهو نفسه قد عبّر عن عدم رضاه عن ذلك التصنيف، إذ تميّز بافتقاده للأسس المنهجية الرصينة والواضحة، أضف إلى ذلك أنّ تصنيفه ذلك لا يبدو كاملا (نحلة، 2000، صفحة 70)، لهذا فقد وُجِّهَت له العديد من الانتقادات، لا سيما ما كشف عنه تلميذه سيرل (عبد الحق، 1993، الصفحات 230-232).

2-2-نظرية الأفعال الكلامية عند جون سيرل (john roger searle):

لم تتوقف نظرية أفعال الكلام مع جهود أوستين، بل واصلت طريقها في الظهور ضمن الساحة الفلسفية واللغوية اللسانية بعد ذلك مع أعمال سيرل، فإذا كانت المرحلة الأولى التي ظهرت فيها نظريّة أفعال الكلام هي مرحلة تأسيسٍ، فإنّ المرحلة التالية لهذه النظرّية هي مرحلة نضج، وتطور، وضبط للمفاهيم والأسس، والتصورات، والمفاهيم، والأسس، لا سيما ما برز مع أعمال سيرل في كتابه الموسوم بـ Speech Acts)؛ أي الأفعال اللغوية الذي صدر في 1969م باللغة الإنجليزية، وقد تُرْجِمَ إلى اللغة الفرنسية سنة 1972م.

انطلق سيرل في رؤيته لأفعال الكلام من آراء أستاذه أوستين، مجريا في خضمّ ذلك بعض التعديلات، ومقدّما بعض الأفكار والتصوّرات الجديد، ولعلّنا نجمل أهم ما جاء به في النقاط التالية:

1- نص سيرل على أنّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأنّ للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية يبيّن لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة (نحلة، 2000، صفحة 47).

2- الفعل الكلامي عنده أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم، بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي (نحلة، 2000، صفحة 47).

3- طوّر سيرل شروط الملاءمة (التكوينية) عند أوستين فجعلها أربعة، وطبّقها تطبيقا محكما على كثير من الأفعال الإنجازية، وهذه الشروط هي: شروط المحتوى القضوي، والشرط التمهيدي، وشرط الإخلاص، والشرط الأساسي (عكاشة، 2012، الصفحات 105-106).

4- أعاد تقسيم الفعل الكلامي الكامل تقسيما جديدا فجعل أقساما أربعة هي: فعل التلفظ، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري، بدلا من تقسيم أوستين الثلاثي الذي لا يشتمل على الفعل القضوي (المتوكل، 2010، صفحة 24).

5- قدّم سيرل تصنيفا بديلا لما قدمه أوستين من تصنيف للأفعال الكلامية يقوم على ثلاثة أُسُس منهجية هي (نحلة، 2000، صفحة 49):

-الغرض الإنجازي illocutionary point

-اتجاه المطابقة directiont of fil

-شرط الإخلاص sincerity condition

وقد جعلها خمسة أصناف أيضا هي (نحلة، 2000، الصفحات 49-50)

أ-الإخباريات أو التقريريات assertives: الغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلّم لواقعة معينة من خلال قضية، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص يتمثّل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق لها.

ب-التوجيهيات directives: وغرضها الانجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة.

ج الالتزاميات commissives : وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلّم بفعل شيء في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها هو القصد.

د-التعبيريات expressive: وغرضها الإنجازي هو التعبير عن النفس تعبيرا يتوافر فيه شرط الاخلاص، وليس فيها شرط المطابقة.

هـ-الإعلانيات أو التصريحات declarations: هدفها جعل العالم يطابق الخطاب، والخطاب يطابق العالم مثل: (أُصرّح وأُعلن).

6- التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الانجازية غير المباشرة، فأمّا الأفعال الإنجازية المباشرة هي : كلّ فعل كلام تتوافر فيه علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة التواصلية للفظ،

بينما نجد أنّ الأفعال الإنجازية غير المباشرة هي كلّ فعل كلام تتوافر فيه علاقة غير مباشرة بين بنية التلفظ ووظيفته التواصلية (يول، 2001، الصفحات 181-191).

ممّا سبق يتّضح أنّ سيرل عمل على تطوير نظرية أفعال الكلام انطلاقا من أفكار وتصوّرات أستاذه أوستين، فبسط جملة من الأفكار والتصورات من جهة، وقام بإجراء مجموعة من التعديلات التي رآها كفيلة لتطوير هذه النظرية، وتحقيق الضبط المفهومي والمنهجي الكافي لها من جهة أخرى كما أسلفنا الذكر.

انطلاقا ممّا تقدّم بيانه يتّضح أنّ نظرية أفعال الكلام تعدّ مفهوما من أهم المفاهيم التداولية، فالتداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة لنظرية أفعال الكلام، هذه الأخيرة ارتبطت في نشأتها وبداياتها الأولى بفلسفة اللغة العادية إحدى أهم فروع الفلسفة التحليلية؛ وذلك لاهتمامها الكبير بالجوانب الاستعمالية للغة، والحديث عن نظرية أفعال الكلام قادنا إلى إبراز جهود عَلَمَيْن فذّيْن هما: أوستين وسيرل، حيث مثّلت جهود أوستين مرحلة التأسيس الفعلي لهذه النظرية، فقدّم أفكارا ورؤى كان لها الأثر الكبير في تطوير هذه النظرية فيما بعد، هذا التطور والنضج والضبط المفهومي والمنهجي الذي تحقق مع جهود سيرل، فقد بسط أفكارا جديدة من جهة، وقام بإجراء تعديلات على الإرث الأوستيني من جهة أخرى قصد تطوير هذه النظرية، وهو ما تحقّق له بالفعل؛ إذ أسفرت أبحاثه وأفكاره تلك عن مفاهيم جديدة طُوِّرَتْ فيما بعد ضمن أفكار ونظريات ومفاهيم تداولية أخرى، إلّا أنّ جهود هذيْن العَلَمَيْن لم تخلُ هي الأخرى من عيوب ونقائص شأنها شأن كلّ جهود تُبْذَلُ في الميدان والنشاط العلمي.

3-تطبيق نظرية أفعال الكلام في الخطاب الإعلاني لمعركة طوفان الأقصى الفلسطينية:

المدونة المدروسة هي رسالة صوتية لمحمّد الضيف قائد أركان كتائب القسّام الجناح العسكري لحركة حماس الفلسطينية، نشرت صبيحة السبت 7 أكتوبر 2023م، توجّه بها المتكلم محمّد الضيف إلى مخاطَبه المراد به شعب فلسطين في المقام الأول، ثمّ أبناء الأمّة الإسلامية والعربية، ثمّ أحرار العالم، معلنا بذلك عن انطلاق معركة جديدة وفصل جديد من فصول التحرير الذي سيخوضه الشعب الفلسطيني الأبيّ ضدّ الكيان الإسرائيلي الغاشم، كاشفا في خضم ذلك عن الوضع المأساوي والمزري الذي أضحى يعيشه أبناء الأمّة الفلسطينية في ظلّ احتلال همجي نازي دام لعقود طويلة، حاثا وموجّها أبناء أمّته الفلسطينيّة، والإسلامية والعربية، والأحرار في العالم إلى ما يجب الالتزام به في مهمة إسناد هذه المعركة ودعمها لتحقيق كامل أهدافها المنشودة.

إنّ المتأمّل في هذه المخاطَبة يلحظ أنّ المتكلم محمّد الضيف قد وظّف مجموعة من الأفعال الكلامية المناسبة لتبليغ مخاطَبيه بعض المقاصد والأغراض التي تدل عليها القِوى الإنجازية التي تحملها تلك الأفعال، ونفصّل ذلك فيما يلي:

3-1-الإخباريات: وظّف محمّد الضيف هذا النوع من الأفعال بشكل كبير خصوصا في مستهل هذه المخاطَبة، يظهر ذلك في قوله: "لا تزال سلطات الاحتلال تحتجز الآلاف من أسرانا الأبطال، وتمارس ضدّهم أبشع أساليب القهر والتعذيب والاذلال" (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023)، وكذا في قوله: "المئات من أسرانا قضوا في غياهب السجون عشرين سنة ويزيد، والعشرات من أسرانا وأسيراتنا أكل السرطان والمرض أجسادهم، وقضى الكثيرون نحبهم نتيجة الإهمال الطبي والقتل البطيء المتعمّد" (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023)، كما يبرز ذلك في قوله: "ولقد قوبلت دعواتنا بعقد صفقة تبادل إنسانية بالرفض والتعنيد" (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023)، بالإضافة إلى قوله: "في كلّ يوم تقتحم قوّات الاحتلال مدننا وقرانا وبلداتنا على امتداد الضفة الغربية، وتعيث فيها فسادا، وتداهم بيوت الآمنين تقتل وتصيب وتهدم وتعتقل، حيث ارتقى المئات من الشهداء والجرحى في هذا العام جرّاء هذه الجرائم، وفي الوقت نفسه تصادر الآلاف من الدونمات، وتقتلع أهلنا من بيوتهم وأراضيهم ومضاربهم، وتبني مكانهم المستوطنات ..." (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023) ، واضح أنّ العبارات الآنفة الذكر تشتمل على عدد من أفعال الإخباريات التي استطاع المتكلم بواسطتها تقديم وصف وتصوير دقيق للظروف والأوضاع المأساوية التي يعيشها المجتمع الفلسطيني المحتل، وتتمثّل قوتها الإنجازية في محاولة محمّد الضيف تذكير مخاطَبيه المراد بهم في هذا المقام شعب فلسطين من جهة، والرأي العام العالمي من جهة أخرى بحجم المعاناة التي يعيشها الفلسطينيون جرّاء تزايد جرائم المحتل الإسرائيلي في حقهم وتنكيله بهم، وتجاوزه كلّ الحدود والقوانين الدولية، كلّ هذا أمام صمت جميع القِوى العالمية، لا سيما الأمريكية والغربية منها، ليس هذا فحسب بل ودعمهم غير المشروط له، هذا الدعم الذي تواصلت مظاهره وفصوله منذ انطلاق هذه المعركة واستمرارها لشهور طويل، أين حظي المحتل الإسرائيلي بدعم كبير مادي، وعسكري، وسياسي...من طرف أمريكا ودول غربية عدّة.

أمام هذا الوضع المزري والمأساوي الذي عمل محمّد الضيف على تصويره ونقل حقيقته إلى مخاطَبيه بواسطة أفعال كلامية إخبارية، نلحظه متضامنا مع أبناء شعبه، يكشف عن ذلك استخدامه المتكرر لضمير جماعة المتكلمين "نحن" في مثل قوله: "أسرانا"، "أسيراتنا"، "مدننا"، "قرانا"، "بلداتنا"، ويبرز ذلك جليا أيضا في استخدامه لبعض الألفاظ المخصوصة نحو "أسرانا الأبطال"، "قطاعنا الحبيب"، فكلّ هذا يكشف عن تضامن محمّد الضيف مع أبناء أمّته، واهتمامه بمشاكلهم، ومشاركته لهمومهم، والتزامه بقضاياهم التي يعيشونها.

3-2-الاعلانيات: بعدما سعى محمّد الضيف إلى نقل حقيقة الوضع الإنساني الصعب الذي يعيشه المجتمع الفلسطيني نتيجة الاحتلال الإسرائيلي، وتضامنه الكبير مع أبناء أمّته، والتزامه بهمومهم

ومشاكلهم، نجده بوصفه –قائد أركان كتائب القسّام-يعلن عن اندلاع وانطلاق معركة طوفان الأقصى باستخدامه لفعل كلامي إعلاني عبّر عنه أكثر من مرة، يظهر ذلك في العبارات التالية (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023):

-"فإنّنا نعلن عن بدء عملية طوفان الأقصى".

-"اليوم يتفجّر غضب الأقصى، غضب شعبنا، غضب أمّتنا، غضب أحرار العالم".

-"اليوم نعم اليوم يستعيد شعبنا ثورته ويصحّح مسيرته، ويعود لمشروع التحرير والعودة وإقامة الدولة بالدّم والشهادة".

المتأمّل إلى هذه العبارات في خضمّ السياقات والملابسات الخاصة التي أُنْجِزَت فيها يدرك أنّ الغرض الإنجازي لهذا النوع من الأفعال يكمن في إعلام المخاطَبين -خصوصا الشعب الفلسطيني في المقام الأول، والرأي العام ككلّ- عن اندلاع معركة طوفان الأقصى، وإبراز جدّيتها وقوّتها وأهدافها، هذا ما يوضحه قوله: "هذا يوم الثورة الكبرى" (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023)، وهي الحقيقة التي كشفت عنها أحداث هذه المعركة مع مرور الأيّام والشهور، إذ مرّغ مقاتلو فصائل المقاومة الفلسطينية كبرياء الجيش الإسرائيلي وترسانته العسكرية والتكنولوجية في الأرض، فأسروا العشرات من الإسرائيليّين، وقتلوا المئات من جنوده، ودمّروا المئات من آلياته وعتاده المتطوّر، فأبانوا بذلك عن صلابة المقاومة وشدّة بأس مجاهديها وتمسّكها الكبير بهدف فك الحصار وتحقيق التحرير من جهة، وكشفوا عن هشاشة العدو الإسرائيلي وبطلان أسطورته القائلة بأنّه الجيش الذي لا يقهر.

3-3-**التوجيهيات:** بعد إعلان القائد محمّد الضيف عن انطلاق معركة طوفان الأقصى نجده يتوجّه إلى مخاطَبه بعدد كبير من أفعال التوجيهيات، هذا المخاطَب الذي تعدّدت هويته؛ إذ يراد به تارة شعب فلسطين ومجاهديه، وتارة يراد به أبناء الأمّة الإسلامية والعربية وأحرار العالم، وتارة أخرى يراد به بعض فصائل المقاومة الإسلامية الأخرى غير الفلسطينية.

ففي مخاطَبته لشعب فلسطين ومجاهديه نجده يستحضر هذا النوع من الأفعال في العبارات الآتي ذكرها (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023):

-"مجاهدون الأبرار هذا يومكم لتفهموا هذا العدو المجرم أنّه قد انتهى زمنه، اقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم، لا تقتلوا الشيوخ والأطفال، وأزيلوا هذا الدنس عن أرضكم ومقدّساتكم، قاتلوهم والملائكة سيقاتلون معكم مردفين، وسيمددكم الله بملائكة مسوّمين، وسيوفي الله بوعده لكم، **"وكان حقا علينا نصر المؤمنين"(الروم، 47)** ".

-"يا شبابنا في الضفة الغربية، يا كلّ أهلنا على اختلاف تنظيماتكم، اليوم يومكم لتكنسوا هذا المحتل ومستوطناته عن كلّ أرضنا في الضفة الغربية، ولتجعلوه يدفع ثمن جرائمه طيلة السنوات العجاف الطوال، نظّموا هجماتكم على المستوطنات بما يتاح لكم من وسائل وأدوات".

-"يا أهلنا في القدس هبّوا لنصرة أقصاكم واطردوا قوّات الاحتلال والمستوطنين من قدسكم، واهدموا الجدران العازلة".

-يا أهلنا في الداخل المحتل، في النقب والجليل...أشعلوا الأرض لهيبا تحت أقدام المحتلين الغاصبين قتلا وحرقا وتدميرا وإغلاقا للطرقات، وأفهموا هذا المحتل الجبان أنّ طوفان الأقصى أكثر ممّا يظن ويعتقد".

فهذه عبارات تضمّنت أفعالا كلامية توجيهية اعتمد عليها محمّد الضيف في مخاطَبته لأبناء الشعب الفلسطيني مقاومين ومدنيّين، حاثا إيّاهم على احتضان هذه المعركة الحاسمة والمشاركة فيها بكلّ قوة، داعيا إيّاهم للتضحية في سبيل إنهاء وجود هذا المحتل الغاشم والانتفاضة في وجه جميع ممارساته وجرائمه التي ارتكبها في حق هذا الشعب، والملاحظ في هذه العبارات التي وظّف فيها محمّد الضيف أفعالا كلامية توجيهية من أجل دعوة وحثّ مخاطَبيه للمشاركة في معركة طوفان الأقصى وإقناعهم بذلك، يجد أنّه قد ضمّنها ما يعرف بالشاهد القرآني إمّا بشكل مباشر عن طريق استحضاره للآية الكريمة من قوله تعالى: **"وكان حقا علينا نصر المؤمنين"** (الروم،47)، وإمّا باستحضاره بشكل غير مباشر عن طريق استثمار آلية الاقتباس، ويظهر ذلك في قوله: "والملائكة سيقاتلون معكم مردفين، وسيمددكم الله بملائكة مسوّمين" (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023)، كلّ ذلك من أجل ترسيخ هذه المقاصد وتأكيدها لدى مخاطَبيه وإقناعهم بها نظرا لما للشاهد القرآني ومعانيه من أهمية وسلطة على الفرد الفلسطيني المسلم الأصيل، ضف إلى ذللك أنّ ما يمكن ملاحظته في العبارات الآنف ذكرها أنّ محمّد الضيف قد استعمل في خضم استحضاره للفعل الكلامي التوجيهي فعل الأمر المباشر الذي يفيد الوجوب، هذا ما يعني أنّ هذه التوجيهات التي يقدّمها محمّد الضيف إلى مخاطَبيه من أبناء الشعب الفلسطيني واجب وضروري التقيّد والالتزام بها حتّى تنجح هذه المعركة العظيمة المعلن عنها، هذا الغرض الإنجازي الذي دلّت عليه الأفعال الكلامية الآنفة الذكر هو الغرض نفسه الذي حملته الأفعال الكلامية التوجيهية الأخرى التي وظّفها في مخاطَبته لأبناء الأمّة الإسلامية والعربية والأحرار في العالم، والتي نذكر منها:

-"يا أهلنا في الأردن ولبنان، في مصر والجزائر والمغرب العربي، في باكستان وماليزيا وأندونيسيا، وفي كلّ أنحاء الوطن العربي والإسلامي ابدؤوا بالزحف اليوم الآن وليس غدا نحو فلسطين، ولا تجعلوا حدودا ولا أنظمة ولا قيودا تحرمكم شرف الجهاد والمشاركة في تحرير المسجد الأقصى، **"انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن**

كنتم تعقلون" (التوبة،41)" (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023).

-"اليوم اليوم كلّ من عنده بندقية فليخرجها فهذا أوانها، ومن ليس عنده بندقية فليخرج ساطورا أو بلطته أو فأسه أو زجاجته الحارقة..." (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023).

-"يا أبناء أمّتنا ويا أحرار العالم من لم يستطع المشاركة في طوفان الأقصى مشاركة فعلية مباشرة فليشارك بالتضامن والتظاهر والمساندة، أخرجوا للساحات والميادين، وارفعوا راية الحرية لفلسطين والأقصى، وأعلنوا الاعتصامات المفتوحة في كلّ مكان..." (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023).

-"أيّها الصالحون والصالحات، يا صفوة الحفّاظ، يا حفظة كتاب الله، أيّها العابدون الصائمون القائمون الراكعون الساجدون اجتمعوا في مساجدكم وأماكن عبادتكم واضّرعوا إلى الله، وألحوا عليه أن ينزّل علينا نصره، وأن يمدّنا بملائكة مردفين..." (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023).

يتّضح بعد التأمّل في هذه العبارات وما اشتملت عليه من أفعال كلامية توجيهية أنّ القوة الإنجازية التي يحملها هذا النوع من الأفعال في هذه السياقات كما أسلفنا الذكر يتمثّل في محاولة محمّد الضيف دعوة مخاطَبيه لمساندة معركة طوفان الأقصى المعلن عنها، وحثّهم على المشاركة فيها، هذه الدعوة التي تعدّ نوعا من أنواع التعبئة الشعبية وحشد للقوى لهذه المعركة الحاسمة، فهي معركة تختلف عن المعارك السابقة التي خاضتها المقاومة الفلسطينية ضد المحتل الإسرائيلي، فهي يوم الثورة الكبرى على حدّ تعبير محمّد الضيف، وقصد إقناع مخاطَبيه بهذه المقاصد وترسيخها في نفوسهم نلحظ في العبارات الآنفة الذكر توظيفه الشاهد القرآني المتمثّل في قوله: **"انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون"** (التوبة، 41)، واضح أنّ هذا الشاهد القرآني الذي يستحضره محمّد الضيف بدوره يشتمل على أفعال كلامية ذات نمط توجيهي غرضه الإنجازي يكمن في حثّ المسلمين على المشاركة رفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعركة ضدّ الكفار، فكانت تلك دعوة للنفير العام، وهو ما يتوافق مع ما دعا ووجّه إليه محمّد الضيف مخاطَبيه من أبناء الشعب الفلسطيني وغيرهم من أبناء الأمّة الإسلامية والعربية وأحرار العالم.

واستمر استحضار محمّد الضيف للفعل الكلامي التوجيهي مرة أخرى في مخاطَبته لفصائل المقاومة الإسلامية الأخرى في لبنان وإيران واليمن والعراق وسوريا، يظهر ذلك في قوله: "يا إخواننا في المقاومة الإسلامية في لبنان وإيران واليمن والعراق وسوريا، هذا اليوم الذي تلتحم فيه مقاومتكم مع أهلكم في فلسطين" (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان

الأقصى"، 2023)، وفي قوله كذلك: "وآن الأوان أن تتّحد كلّ القوى العربية والإسلامية لكنس هذا الاحتلال عن مقدّساتنا وأرضنا" (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023)، الملاحظ أنّ محمّد الضيف قد اعتمد استراتيجية أخرى في استحضاره للفعل الكلامي التوجيهي عند مخاطَبته لفصائل المقاومة الإسلامية غير الفلسطينية، فقد عدل في مخاطَبته لهذه الفصائل عن استخدام فعل الأمر المباشر المقترن بالمخاطَب، وإنّما أخرج الطلب الأمري مخرج الخبر فقال اليوم تلتحم فيه مقاومتكم ولم يقل اِلتحموا، وقال آن الأوان أن تتّحد كلّ القوى العربية والإسلامية ولم يقل اتّحدوا، وفي هذا مراعاة لمنزلة المخاطَب ومكانته، والقوة الإنجازية التي حملها هذا النوع من الأفعال في هذا المقام هو دعوة المخاطَبين-وهم فصائل المقاومة الإسلامية- إلى إسناد معركة طوفان الأقصى ودعمها عن طريق المشاركة الفعّالة والمباشرة، وترغيبهم إلى ذلك واستثارة مشاعرهم عن طريق تذكيرهم بجرائم المحتل في بلدانهم، يبرز ذلك في قوله: "ليفهم هذا المحتل الرعديب أنّه قد انتهى الزمن الذي يعربد فيه، اغتال العلماء والقادة، قد انتهى زمن نهب ثرواتكم، قد انتهى القصف شبه اليومي في سوريا والعراق..." (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023).

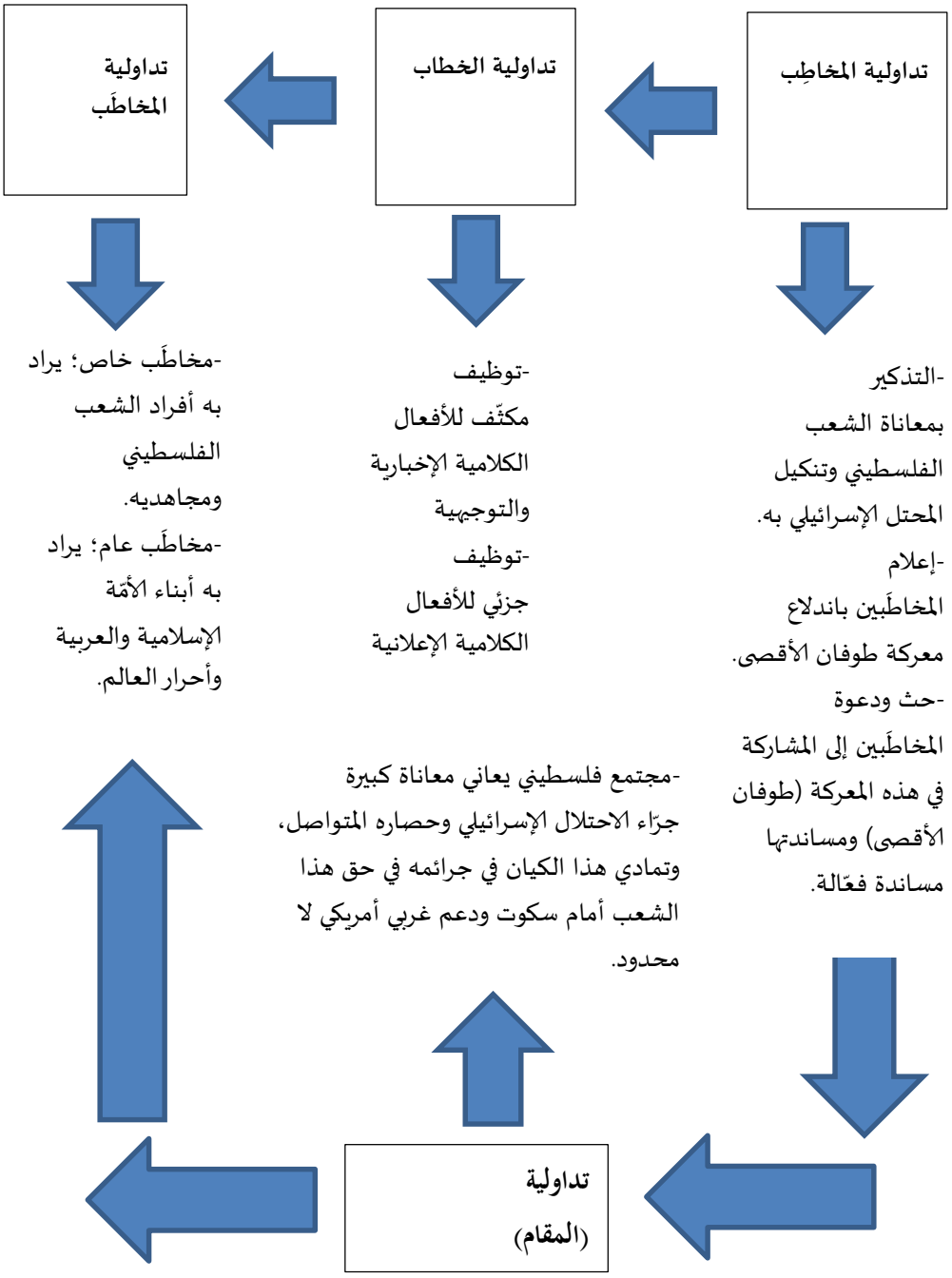
يختتم محمّد الضيف رسالته الصوتية بفعل كلامي توجيهي آخر يتجلّى في قوله: "على الجميع متابعة التوجيهات والتعليمات عبر البيانات العسكرية المتتابعة" (الضيف، رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"، 2023)، غرضه الإنجازي هو النصح والإرشاد؛ إذ يريد محمّد الضيف توجيه جميع مخاطَبيه إلى المصدر الرئيس الذي سيأخذون منه كلّ ما يتعلق بهذه المعركة من حقائق وتعليمات، مدركا ما ينتظر هذه المعركة من تحديات وصعوبات ومشاكل ناتجة عن ردة فعل المحتل الإسرائيلي، فضلا عن حملات التشويه والتزوير والافتراءات التي سيصدرها هذا الكيان الغاشم في حق المقاومة الفلسطينية الشريفة.

إجمالا يمكننا القول إنّ الرسالة الصوتية التي أصدرتها كتائب القسام الجناح العسكري لحركة حماس على لسان قائد أركانها محمّد الضيف صبيحة انطلاق معركة طوفان الأقصى، قد كانت حافلة بمجموعة من الأفعال الكلامية التي حملت في طيّاتها جملة من الأغراض والمقاصد التي حاول المتكلم تبليغها إلى مخاطَبيه.

وقد كان استحضار محمّد الضيف للأفعال الكلامية ضمن رسالته الصوتية متفاوتا، إذ وُظِفَت أفعال الإخباريات توظيفا مكثّفا خصوصا في مستهل هذه المخاطبة، وذلك بغرض تذكير مخاطَبيه بحجم المعاناة والوضع المأساوي الذي يعيشه الفلسطينيون على أرضهم جرّاء الاحتلال الإسرائيلي الغاشم، بينما أُسْتُحْضِرَت أفعال الإعلانيات استحضارا جزئيا لغرض إعلام المخاطَبين بانطلاق معركة طوفان الأقصى بوصفها مرحلة جديدة من مراحل الكفاح الفلسطيني ضد الكيان

الإسرائيلي المجرم، فضلا عن هذا فإنّ محمّد الضيف اعتمد اعتمادا كبيرا على أفعال التوجيهات بغرض حثّ مخاطَبيه على المشاركة في هذه المعركة الفاصلة، ودعوتهم لإسنادها إسنادا فعالا.

نلخص ما سبق في الخطاطة الآتية:



4-خاتمة:

خلص البحث إلى مجموعة من النتائج نذكرها في النقاط الآتية:

-المدوّنة المدروسة هي عيّنة مناسبة للدراسة التداولية الهادفة إلى رصد واستجلاء الأفعال الكلامية المستحضرة، واستقصاء أبرز الأغراض والقِوَى الإنجازية التي تحملها هاته الأفعال، والتي تعكس مقاصد المتكلم المراد تبليغها إلى المخاطَبين.

-كشفت الدراسة عن تعدّد وتنوّع الأفعال الكلامية المستحضرة في العيّنة المدروسة، مع ملاحظة غلبة وسيطرة أفعال التوجيهيات، ثمّ بنسبة أقل منها أفعال الإخباريات، في حين تمّ تسجيل حضور جزئي وقليل لأفعال الإعلانيات.

-دلّ الحضور الكبير لأفعال الإخباريات الواردة خصوصا في مستهل هذه المخاطَبة على رغبة المتكلم محمّد الضيف على مكاشفة مخاطَبه العام والخاص على الوضع المأساوي والمزري الذي أضحى الفلسطينيون يعيشونه، وذلك باستثمار هذا الصنف من الأفعال الكلامية في نقل صورة حقيقية ودقيقة للواقع الفلسطيني المرير المعاش.

-اشتمال عينة الدراسة على عدد قليل جدا من أفعال الإعلانيات، لكنّ استحضارها كان استحضارا حاسما ومركّزا، عبّر المتكلم بواسطته عن غرضه وهدفه الأسمى من هذه المخاطَبة المتمثّل في إعلام مخاطَبيه عن انطلاق معركة طوفان الأقصى ضد المحتل الإسرائيلي.

-وظّفت أفعال التوجيهيات في العينة المدروسة توظيفا مكثّفا، فكانت أكثر الأفعال الكلامية ورودا، اعتمد عليها المتكلّم محمّد الضيف كاستراتيجية توجيهية يدعو فيها مخاطَبيه على اختلاف تشكيلاتهم وتعدّدها إلى ضرورة احتضان معركة طوفان الأقصى المعلن عنها، ويحثّهم على حتمية المشاركة القوية فيها، ومساندتها مساندة فعلية.

-استحضار المتكلّم محمّد الضيف للأفعال الكلامية المذكورة آنفا: الإخباريات، الإعلانيات، التوجيهيات كان استحضارا مباشرا، إذ تطابق كلّ ما قاله مع ما يقصده؛ ذلك أنّ اعتماده على الفعل الكلامي المباشر يتناسب مع الهدف العام المراد من مخاطَبته المتمثّل في مكاشفة الرأي العام على حقيقة الوضع المزري الذي آلت إليه أوضاع الفلسطنيّين، ثمّ إعلانه بعد ذلك عن انطلاق معركة طوفان الأقصى التحريرية، ثمّ توجيه مخاطَبيه توجيها مباشرا نحو الخطوات العملية المناسبة لإسناد المعركة المعلن عنها.

قائمة المراجع

اولا المراجع باللغة العربية

1. أحمد المتوكل. (2010). *اللسانيات الوظيفية مدخل نظري* (الإصدار 2). ليبيا: دار الكتاب الجديد المتّحدة.
2. جورج يول. (2001). *التداولية* (الإصدار 1). لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
3. صلاح إسماعيل عبد الحق. (1993). *التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد* (الإصدار 1). لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر.
4. محمّد الضيف. (07 أكتوبر، 2023). *رسالة صوتية لقائد القسّام لإطلاق عملية "طوفان الأقصى"*. تم الاسترداد من الجزيرة: https://www.aljazeera.net/news/2023/10/7/%D7%A8%D8%3B%8D%1B%8-%D9A%8D%-9A%8A%D8%9AA%D%8D%88%9D%5B%8-%D9A%8D%AF-%8D%6A%8D%7A%8D%82%9D%84%9D-85%9D%7A%8D%3B%8D%82%9D%84%9D%7A%8%D-82%9D%7A%8D%84%9D%7B%8D%5A%8D%84%9%D-9A%8A%D8%9D%84%9D%85%9D%9B%8%D
5. محمود أحمد نحلة. (2000). *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*. مصر: دار المعرفة الجامعية.
6. محمود عكاشة. (2012). *النظرية البراغماتية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ* (الإصدار 1). مصر: مكتبة الآداب.
7. مسعود صحراوي . (2020). *التداولية عند العلماء العرب* (الإصدار 2). الجزائر: دار التنوير.